

دَوْلَةُ لِيبِيَا

وَزَارَةُ التَّعْلِيمِ

مَرْكَزُ المَنَاهِجِ التَّعْلِيمِيَّةِ وَالبُحُوثِ التَّرْبَوِيَّةِ

التَّربية الإسلاميَّة

للسنة الثّالثة بمرحلة التّعليم الثّانوي

(للقسمين العلمي والأدبي)

الدرس الثاني

المدرسة الليبية بفرنسا ـ تور

العام الدراسي:

1441 / 1442 هـ . 2020 / 2021 م.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

النص الثاني
عاقبة الظلم (2)

تمهيد:

رأينا في الدرس السابق بدايات المصير الذي سيلاقيه الظالمون يوم القيامة: القيام من قبورهم ،والإسراع إلى الداعي الذي يدعوهم للمثول بين يدي الله عز وجل للحساب، وهم في حال شديدة من الفزع والخوف، حتى إن أعينهم لتبقى مفتوحة، لا يتحرك لها جفن مما يرونه من الأهوال، وقلوبهم خاوية، لا تحمل غير التفكير في المصير الفظيع الذي سيصيرون إليه.

وفي هذا الدرس عرض لاستمرارية المشهد: انتقام الله عز وجل من الظالمين وغيرهم من المجرمين، وتعذيبهم جزاء ظلمهم وجزاء مكرهم؛ تحقيقاً لعدل الله في الجزاء، وسيكون ذلك في يوم ستتبدل فيه الأرض والسماوات إلى طبيعة جديدة، لا يعلم إلا الله كيفيتها. سيقفون أمام الله عز وجل مكشوفين لا يسترهم ساتر، ليسوا في بيوتهم ولا في قصورهم التي كانوا يظلمون الناس فيها، إنما هم في العراء أمام الواحد القهار. وبعد الحساب العسير تبدأ مراحل العذاب الدائم الذي لا ينتهي: يقرن الظالمون والمجرمون اثنين اثنين في الأغلال والسلاسل، يمرون صفاً وراء صف، في منظر إذلال، يقابل ما كانوا عليه من الظلم والترفع على الناس، وتكون ملابسهم من قطران، وهي مادة شديدة القابلية للالتهاب، قذرة سوداء؛ زيادة في إذلالهم وتحقيرهم، ثم ينتهي المشهد بقذفهم في النار.

وفي النص الأتي – وهي الآيات التاليات لآيات الدرس السابق من سورة إبراهيم – عرض لهذا المشهد.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

من سورة إبراهيم

النص:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾

معاني الكلمات:

الكلمة	معناها
وبرزوا	خرجوا من قبورهم وظهروا أمام الله عز وجل.
مُقَرَّنين	مشدودين ومقيدين بعضهم إلى بعض .
الأصفاد	السلاسل والقيود والأغلال.
سرابيلهم	ملابسهم وقمصانهم.
تغشى	تعلو وتحرق.
الألباب	العقول السليمة.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

المعنى العام:

الآية 47: ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾.

هذا خطاب من الله تعالى لرسوله ﷺ يتضمن التأكيد أنه عز وجل سوف لن يخلف وعده لرسله عليهم الصلاة والسلام. يقول له: لا تظنَّ – يا أيها النبي – أن الله سيخلف الوعد الذي وعده لرسله، بتأييدهم ونجاتهم ونجاة أتباعهم، وإهلاك أعدائهم وخذلانهم في الدنيا، وتعذيبهم في الآخرة، كلا! فالله عزيز: لا يمتنع عليه شيء إذا أراده، منتقم ممن كفر به وكذب برسله. وفي هذا تهديد ووعيد شديد للظالم– أيًّا كان نوع الظلم – أن يكف ويتوب إلى الله؛ حتى لا يناله انتقام الله وعذابه. وفيه تسلية للنبي ﷺ وتذكير له أن الله يحيطه برعايته ونصره، وتسلية كذلك لمن ظُلِمَ ولم يتمكن من القصاص في الدنيا، أن الله سينتقم ممن ظلمه.

الآية 48: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾.

يعني أن انتقام الله من الظالمين والمجرمين يكون يوم تتبدل صفات الأرض وصفات السماوات، فلا تعود كما اعتاد عليها الناس، ولا يعلم كيف تكون طبيعتها يومها إلا الله سبحانه وتعالى. في ذلك اليوم سيخرج الخلق جميعا من قبورهم، ويبرزون ويَمْثُلُونَ للحساب والمساءلة بين يدي الله عز وجل الواحد الذي قهر كل شيء وغلبه.

الآية 49: ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾.

هذا وصف لمشهد من مشاهد العذاب الشديد والقاسي، الذي سيلاقيه المجرمون والظالمون يوم القيامة، يناسب ما كانوا عليه من تجبر وتكبر على الناس، وكفر بالله وبنِعَمِه. سيقادون في ذلك اليوم إلى العذاب بطريقة فيها إذلال وإهانة: سيربطون ويقيدون اثنين اثنين بسلاسل وأغلال وقيود، يربط المجرم والظالم بشبيهه ومثيله في الظلم والإجرام، أو بالشيطان الذي أضله وأغواه، ثم يقذفون في جهنم، والعياذ بالله. قال الله تعالى ﷻ: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾[1].

1 سورة الفرقان، الآية 13.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الآية 50: ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾.

وهذا وصف للثياب التي سيرتدونها في ذلك اليوم الشديد؛ إنها من قطران: وهي مادة سوداء رائحتها نتنة جدا، لمزيد من الإذلال والتحقير لهم، كما أن القطران فيه قابلية شديدة للاشتعال، وفي هذا إشارة إلى شدة العذاب؛ فعند اقترابهم من النار ستشتعل ملابسهم، ومن ثَمَّ تعلو النار وجوههم، فتحرقها، وتحرق كامل أجسادهم وشعورهم. قال تعالى في آية أخرى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾[1]، أي: تحرق النار وجوههم، وهم فيها عابسون مشوهو الوجوه.

الآية 51: ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾.

يعني أن هذا العذاب الشديد، والإذلال والمهانة التي سيلاقيها المجرمون والظالمون ليست ظلما من الله تعالى لهم، كلا! بل هو جزاء لما قدموا وكسبوا، فقد كسبوا المكر والظلم، فكان جزاؤهم القهر والذل. وبالمقابل سيجزي الله المحسنين العفو والمغفرة والجنة؛ جزاء أعمالهم الصالحة. قال الله عز وجل في آية أخرى: ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ ﴾[2].

ثم يخبر الله تعالى أنه سريع الحساب، ومعناه أن حساب الله للخلق سيكون سريعا، فهو يعلم ما فعله كل مخلوق من عمل صالح وسيء، وحسابه لهم هو من أجل أن يقروا به ويعترفوا.

الآية 52: ﴿ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾.

يعني أن هذا القرآن فيه بلاغ للناس، أي عظة وعبرة. وقال بعض العلماء معناه أنهم يَتَبلَّغون به ويصلون أعلى المقامات والتكريمات، وهو في الوقت نفسه إنذار لهم وترهيب من عمل الشر والظلم والكفر، وفيه الحجج والبراهين التي تدل على أنه سبحانه وتعالى إله واحد لا شريك له، وفيه ذكرى وعظة وعبرة لأصحاب العقول السليمة.

بَقِيَ – يا أولادي – أن تعرفوا أمرين آخرين مهمين جدا، لهما علاقة بالظلم والظالمين.

1 سورة المؤ منون ، الآية 104.
2 سورة النجم، الآية 31.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

الأمر الأول: لابد أن تعلموا أن الركون إلى الظالمين محرم تحريماً شديداً؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾[1]. والركون إلى الظالمين معناه: محبتهم ومجاملتهم ومجالستهم، والاستعانة بهم في قضاء الحوائج، وتزيين الظلم لهم، والتشبه بهم في الملبس والزي وطريقة الكلام والحركة؛ فكل هذه الأشياء محرمة أيضا، فلا يكفي أن تقول: أنا لست ظالماً، ما دمت تجالس الظالم وتؤانسه وتجامله، وتستعين به في قضاء حاجاتك؛ لأن كل هذه الأمور تعني الرضا بظلمه، وإقراره عليه. فاحذر كل ذلك؛ حتى لا تمسك النار، كما جاء في الآية. ثم إن الظالمين لا يقومون بالظلم وحدهم، بل يستعينون بأناس آخرين، هم في الأصل مَن كان يجاملهم ويجالسهم ويستعين بهم، فإذا كنت اليوم تجالس الظالم وتستعين به فقط، فإنه سيطلب منك يوما أن تعينه على ظلمه، وقد لا تستطيع أن ترد له طلبه؛ لأنك تخاف منه، أو لأنه قد قدم لك خدمة في السابق، فأنت في كل الأحوال مشارك في الظلم؛ فانتبه، واستمع لما جاء في أثر عن ابن مسعود -رضي الله عنه-: «من أعان ظالماً سلّطه الله عليه»[2].

والأمر الثاني: اعلم - يا ولدي - أن دعاء المظلوم على من ظلمه مستجاب، حتى ولو كان المظلوم كافراً، قال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[3]، وجاء في الحديث القدسي: «وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين»[4]، واعلم أن عقاب الظالمين ليس في الآخرة فقط، بل قد يعجل الله العذاب للظالم في الدنيا، ويدخر له عذاباً آخر في الآخرة، وانظر ما فعل الله بالظالمين والطغاة على مرِّ العصور كيف عاقبهم الله تعالى .

ما ترشد إليه الآيات:

1. سيقف الظالمون بين يدي الله – عز وجل – ؛ليحاسبهم حساباً عسيراً على ظلمهم.
2. الظالمون مصيرهم إلى النار، وبئس المصير.
3. المصير الذي سيلقاه الظالمون والمجرمون هو جزاء عادل لظلمهم وتكبرهم وكفرهم بنعم الله.
4. القرآن فيه عبر وعِظَاتٌ، وفيه ترهيب من الشر، وأدلة وحجج على ألوهية الله ووحدانيته.

1 سورة هود، الآية 113.
2 انظر المقاصد الحسنة للسنماوي ص 388 - والحديث ضعيف .
3 رواه أحمد.
4 رواه الطبراني

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا